ISSN: 2750-6142

المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

Arabic Translation Work:

Boaventura de Sousa Santos (Author)

Why the Epistemologies of the South? Artisanal Pathways for Artisanal Futures*

Jaouad El Habbouch (Translator)
Abdelmalek Essaadi University, Tetouan, Morocco
Email : jaouadelhabbouch@gmail.com
Orcid : 0000-0001-7348-9319

Received	Accepted	Published
22/6/2024	10/7/2024	15/7/2024

DOI : 10.63939/AJTS.ft4dsf41

Cite this article as : de Sousa Santos, B. (2024). Why the Epistemologies of the South? Artisanal Pathways for Artisanal Futures (J, El Habbouch, Arabic Trans.). *Arabic Journal for Translation Studies, 3*(8), 209-224.

Abstract

The epistemologies of the global South concern the production and validation of knowledges documenting the experiences of resistance to the violent histories of Western imperialism and colonialism. The richly-diverse field of such experiences is what Boaventura Santos designates as an epistemological, nongeographical South, composed of many epistemological souths, which have in common the fact that they are all knowledges born in struggles against capitalism, colonialism, and patriarchy. For Santos, the objective of the epistemologies of the South is to allow oppressed people to represent the world as their own and in their own terms, for only thus will they be able to change it according to their own aspirations. Given the uneven development of capitalism and the ongoing forms of Western-centric colonialism, the epistemological and geographical Souths partially overlap, especially regarding the countries that were subjected to colonialism. According to Santos, the overlap is only partial, not only because the epistemologies of the North also flourish in the geographical South but also because the epistemological South is also found in the geographical North (Europe and North America) in the different the struggles waged there against capitalism, colonialism, and patriarchy (2018).

Keywords: Global South Epistemologies, Social Struggles, Colonialism, Capitalism

© 2024, El Habbouch, licensee Democratic Arab Center. This Translated Paper is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

* de Sousa Santos, B. (2018). *The end of the cognitive empire: The coming of age of epistemologies of the South*. Durham and London: duke university Press.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 8، 2024
Vol: 3 / N°: 8 (2024)
ISSN: 2750-6142

عمل مترجَم:

بو افينتورا دي سوزا سانتوس (المُؤَلِّف)

لماذا إبستيمولوجيات الجنوب؟ مسارات بديعة لآفاق مبتكرة

جواد الحبوش (المترجِم)
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب
الايميل: jaouadelhabbouch@gmail.com
أوركيد: 0000-0001-7348-9319

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/6/22	2024/7/10	2024/7/15

DOI : 10.63939/AJTS.ft4dsf41

للاقتباس: دي سوزا سانتوس، ب. (2024). لماذا إبستيمولوجيات الجنوب؟ مسارات بديعة لآفاق مبتكرة (ترجمة جواد الحبوش). *المجلة العربية لعلم الترجمة، 3*(8)، 209-224.

ملخص

تهم إبستيمولوجيات الجنوب أشكال المعرفة التي تتمخض عن النضالات الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالمجتمعات التي عانت بشكل ممنهج من العنف الذي تسببت فيه الرأسمالية والاستعمار والسلطة الأبوية. يجادل بوافينتورا دي سوزا سانتوس أن الجنوب الإبستيمولوجي المناهض للإمبريالية الغربية تؤثثه العديد من أصوات المقاومة تشترك في كونها ولدت من رحم النضالات ضد الرأسمالية والاستعمار والسلطة الأبوية. من وجهة نظر سانتوس، أسهمت إبستيمولوجيات الشمال العالمي في تحويل المعرفة العلمية إلى وسيلة للهيمنة تمثل العالم على أنه ملك للفرد له مقدرة على تطويعه وفقًا لاحتياجاته وتطلعاته. وبهذا، مكنت المعرفة العلمية في الشمال العالمي، إلى جانب قوته الاقتصادية والعسكرية المتفوقة، من السيطرة على العالم منذ بداية العصر الحديث إلى يومنا هذا. في مقابل هذا، تدعونا إبستيمولوجيات الجنوب إلى تغيير جغرافية التفكير تجاه معارف الجنوب العالمي سعيا منها إلى فك الارتباط بسياسات المعرفة المتمركزة غربيا والاحتفاء بالتعددية الكونية وثراء التجارب الإنسانية. تراهن إبستيمولوجيات الجنوب على مفهوم سوسيولوجيا الغياب، أي تحويل الموضوعات الغائبة إلى مواضيع حاضرة كشرط أساسي لتحديد المعرفة التي يمكن أن تُعيد ابتكار آليات التحرر الاجتماعي (Santos 2014). يؤكد سانتوس أن معارف الجنوب تتطلع إلى أنطولوجيات أخرى، تكشف عن أشكال مختلفة من المعرفة، خاصة بالشعوب المهمشة والصامتة، الشعوب التي تم اقصاؤها من الأنماط السائدة للوجود والمعرفة.

الكلمات المفتاحية: إبستيمولوجيات الجنوب، النضالات الاجتماعية، الرأسمالية، الاستعمار

© 2024، الحبوش، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشر هذا النص المترجَم وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

تهتم إبستيمولوجيات الجنوب بإنتاج وتوثيق المعرفة التي ترتكز على تجارب المقاومة لكل الشرائح الاجتماعية التي عانت بشكل ممنهج من الظلم والقمع والخراب الذي تسببت فيه الرأسمالية والاستعمار والسلطة *الأبوية*. حقل هذه التجارب الشاسع والمتنوع للغاية أسميه الجنوب المناهض للإمبريالية. إنه جنوب معرفي وغير جغرافي، تؤثثه العديد من أصوات الجنوب الإبستيمولوجي تشترك في كونها ولدت من رحم النضالات ضد الرأسمالية والاستعمار والسلطة الأبوية. يتم إنتاج هذه الإبستيمولوجيات حيث وجدت مثل هذه النضالات، سواء في الشمال أو الجنوب الجغرافيين. إن الهدف من إبستيمولوجيات الجنوب هو السماح للفئات الاجتماعية المهمشة بتمثيل العالم باعتباره ملكا لها وبشروطهما الخاصة، لتصير قادرة على تغييره وفقًا لتطلعاتها. وبالنظر إلى التطور غير المتكافئ للرأسمالية واستمرارية الاستعمار الغربي، يتداخل الجنوب المعرفي والجنوب الجغرافي جزئيًا، سيما في البلدان التي خضعت للاستعمار تاريخيا. غير أن هذا التداخل يبقى جزئيا، ليس لأن إبستيمولوجيات الشمال تزدهر في الجنوب فقط (أقصد الجنوب الإمبراطوري، الإبستيمولوجيات الأوروبية الصغيرة التي نجدها في الغالب مهيمنة في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي وإفريقيا وآسيا وأوقيانوسيا) ولكن أيضًا لأن الجنوب المعرفي له حضور في الشمال الجغرافي (أوروبا وأمريكا الشمالية) من خلال العديد من النضالات التي تباشر هناك ضد الرأسمالية والاستعمار والسلطة الأبوية.

تهم إبستيمولوجيات الجنوب أشكال المعرفة التي تتمخض عن النضالات الاجتماعية والسياسية، ولكونها لا يمكن أن تنفصل عن تلك السياقات، فهي ليست إبستيمولوجيات بالمعنى التقليدي للكلمة. حيث أن هدفها ليس دراسة المعرفة أو الاعتقاد المبرر في حد ذاتهما، ناهيك عن السياقين الاجتماعي والتاريخي حيث يظهر كلاهما (من هنا تبدو الإبستيمولوجيا الاجتماعية مفهوما مثيرا للجدل أيضًا) ، بل الهدف منها، بدلاً من ذلك، هو تحديد وتقييم ما لا يبدو لنا معرفة في ضوء الإبستيمولوجيات السائدة، والتي تظهر بدلاً من ذلك كجزء من كفاحات المقاومة ضد الظلم وأشكال المعرفة التي تضفي الشرعية على ذلك. كثير من أساليب المعرفة هاته لا تعتبر معارفا، لكنها معارف معاشة. تهتم إبستيمولوجيات الجنوب بموضوع الإبستيمولوجيات لإعادة توظيف مدلولها كأداة لفك الارتباط بسياسات المعرفة السائدة. وبهذا فهي إبستيمولوجيات تجريبية.[1] هناك إبستيمولوجيات في الجنوب فقط لأن، وإلى الحد الذي، توجد فيه إبستيمولوجيات في الشمال. كما توجد اليوم إبستيمولوجيات في الجنوب حتى لا تصير ضرورة يومًا ما.

الاهتمام بالإبستيمولوجيا

يقابل مصطلح الإبستيمولوجيا ما يطلق عليه في اللغة الألمانية اسم نظرية المعرفة تقريبًا. هذا وبينما كان التركيز في الماضي على نقد المعرفة العلمية، فإن الإبستيمولوجيا اليوم لها علاقة بتحليل شروط تحديد المعرفة والاعتقاد المبرر والتحقق منهما بشكل عام، وبهذا يكون لها بعدا معياريا. إن إبستيمولوجيات الجنوب بهذا المعنى تتحدى الإبستمولوجيات السائدة على مستويين. فمن ناحية، تعتبر إبستيمولوجيات الجنوب أنه من المهم للغاية تحديد ومناقشة معايير صحة المعارف ومناهج المعرفة غير المعترف بها على هذا النحو من قبل الإبستيمولوجيات المهيمنة. وبالتالي، ينصب تركيزها على المعرفة غير الموجودة، والتي تعتبر كذلك إما لأن إنتاجها لا يتم وفقًا لمنهجيات مقبولة، إن لم نقل واضحة، أو بسبب إنتاجها من قبل ذوات غائبة، ذوات تعتبر غير قادرة على إنتاج معرفة مؤسسة بسبب حالتها أو طبيعتها الدون إنسانية. يجب أن تستمر إبستيمولوجيات

الجنوب وفقًا لما أصطلح عليه سوسيولوجية الغياب، أي تحويل الموضوعات الغائبة إلى مواضيع حاضرة كشرط أساسي لتحديد وتثبيت المعرفة التي قد تُعيد ابتكار آليات التحرير والتحرر الاجتماعين (Santos 2014). وكما سأتطرق إليه في الأسفل، فإن إبستيمولوجيات الجنوب تستدعي بالضرورة أنطولوجيات أخرى (تكشف عن أنماط مختلفة، خاصة بالشعوب المضطهدة والصامتة، الشعوب التي تم اقصاؤها بشكل جذري من الأنماط السائدة للوجود والمعرفة). ونظرًا لأن مثل هذه الموضوعات يتم تغييبها من خلال علاقات القوة غير المتكافئة، فإن استردادها يمثل التفاتة سياسية بارزة. تركز إبستيمولوجيات الجنوب على العمليات المعرفية المتعلقة بالمعنى، والتعليل، والتوجيه في النضال الذي يقدمه أولئك الذين يقاومون الظلم ويتمردون عليه. مسألة صحة المعرفة تنبثق من هذا الحضور القوي. فالاعتراف بالكفاح وبأبطاله هو فعل معرفي مسبق، وهو دافع عملي وسياسي ينطوي على الحاجة إلى التدقيق في صحة المعرفة المتداولة في النضال والتي يولدها النضال نفسه. ولعل من باب المفارقات بهذا المعنى أن يسبق الاعتراف الإدراك.

ومن ناحية أخرى، فإن الموضوعات التي يتم الاهتداء إليها أو الكشف عنها، أو اخراجها إلى الوجود، غالبًا ما تكون موضوعات جماعية، تقوم بتغيير تمثلنا لمسألة تأليف المعرفة تمامًا، ومن هنا، مسألة العلاقة بين الذات العارفة وموضوع المعرفة. إننا نواجه زخما من عمليات النضال الاجتماعي والسياسي الذي يعيش في كنفه نوع حي من المعرفة، لا يحتوي على موضوع فردي في غالب الأحيان. إن المعارف التي تستفرد بها وتستشرفها إبستيمولوجيات الجنوب من الناحية الفنية والثقافية لها ارتباط وثيق ببعض الممارسات - ممارسات مقاومة للظلم. وبالتالي فهي طرق للمعرفة، وليست معارف،[2] وذلك كونها متأصلة في الممارسات الاجتماعية. فهي تتجسد في هاته الممارسات وتتمظهر وتنتشر في معظم الحالات بأسلوب لا يطغى عليه الهاجس الشخصي، على الرغم من أن بعض الأفراد داخل الجماعة يتمتعون بامتياز الوصول إليها أو صياغتها بسلطة أكبر (المزيد حول هذا الموضوع أسفله). وفي حين أن هذه المعرفة تمتح من الواقع، فإن السبيل إليها يصير مجسدا للواقع نفسه. وهذا هو السبب الذي تم وراءه ترجمة كيفية المعرفة باللغة الإنجليزية إلى " كيفية معرفة القيام بشيء ما" في اللغات الرومانيقية.

رغم أن فوكو شدد على هذا الفرق بين المعرفة وطرق المعرفة عام 1969، فإن الأمر مختلف هنا. بالنسبة لفوكو، مناهج المعرفة تعني ضمنيًا عملية جماعية مجهولة المصدر، أو شيء لم يسبق ذكره، أو بداهة تاريخية وثقافية لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال أركيولوجية طرق المعرفة. غير أن مناهج المعرفة التي تهم الإبستمولوجيات في الجنوب لا تشكل بداهة ثقافية، أي ما لم يتحدث عنه فوكو. فهي تجسد في الغالب ما لم يذكر من تلك الأشياء التي لم يتم الحديث بشأنها، بمعنى ما لم يذكر المنبثق عن الخط السحيق الذي يفصل المجتمعات المتروبولية والاستعمارية والمجتمعات الحداثية المتمركزة غربيا. هذا الخط (الاستعماري) السحيق (abyssal line) الذي يشكل الخطاب المعرفي الأساسي للحداثة الغربية، هو ما تجاهله فوكو. تعتمد تخصصات فوكو على تجارب الجانب المتروبولي للمجتمعات الحديثة بقدر ما تتأسس على المغيب ثقافيا عندها بالمعنى الفوكودي. وتكتسي هذه التخصصات طابعا كونيا مزيفا لا فقط لأنها تتناسى الجانب المغيب، بل لأنها بقدر ما هي عليه مسألة التغييب، لا تأخذ بعين الاعتبار أشكال التواصل الاجتماعي الموجودة على الجانب الاستعماري الآخر من الخط. وبالتالي، فإن المصموت عنه أو المغيب بالمعنى الفوكودي هو على نفس القدر من الزيف الشائع في الحداثة وتمركزها أوروبيا من فكرة كانط عن العقلانية كسبيل للتحرر في مواجهة الطبيعة. هذا الشكل نفسه من العقلانية هو الذي جسر العلاقة بين الطبيعة والشعوب والمجتمعات الموجودة على الجانب الآخر من الخط، في المنطقة الاستعمارية. بدون شك، أحرزت فلسفتي كانط

وفوكو تقدمًا مهمًا في علاقتهما بنظرية جون لوك حول العقل باعتباره صفحة بيضاء أو لوحا فارغا. لكن، بدلاً من مسألة اللوح الفارغ، طرح كلاهما افتراضات مسبقة أو بديهيات، تعتبر بالنسبة لهما شرط كل التجارب الإنسانية المعاصرة. لم يعيبا أن تلك التجربة كلها كانت تجربة مبتورة في جوهرها، لأنها بُنيت على أساس تجاهل تجربة من يوجدون على الجانب الآخر من الخط السحيق- الشعب الاستعماري. وبالتالي إذا أردنا صياغة إبستيمولوجيات الجنوب بمعنى فوكو، وهذا ليس هدفي هنا، يجب أن نقوم بأركيولوجية في أركيولوجية طرق المعرفة.

قامت الإبستمولوجيات النسوية المتمركزة في الشمال خلال القرن العشرين بالهيمنة المبكرة على الإبستمولوجيات السائدة هناك، إذ أظهرت أن تصور المعرفة كفكرة مستقلة عن تجربة الذات العارفة، والتي على أساسها تم التمييز خاصة بعد كانط بين الإيبستيمولوجيا والأخلاق والسياسة، قام بالتطبيع مع السلطة الذكورية السياسية والاجتماعية لاحقا وصارت ترجمة إبستمولوجية لها. هذا في حين شكلت نظرة الإله لذلك الجانب الآخر من مشهد العدم. لقد جادلت الإبستمولوجيات النسوية هاته، المدينة كثيرا لفوكو، حول موقعية وجغرافية المعرفة، فضلاً عن التعالق الضمني بين الذات وموضوع المعرفة. غير أن الهيمنة المذكورة كانت بشكل عام هيمنة جزئية، لأنها لم تعترض على أسبقية المعرفة كممارسة منفصلة. لم يكن مستغربا أن تمارس الإبستمولوجيات النسوية المتمركزة في الشمال ضغوطًا على الحدود الفاصلة بينها والإبستمولوجيات هناك، غير أن هذه الأخيرة بقيت نفسها في نطاق تلك الحدود. لذلك قدمت نقدًا داخليًا مثل العديد من الأمثلة الأخرى التي أذكرها في هذا الكتاب. ورغم هذا فقد لعبت دورا حاسما في فسح المجال لظهور الإبستمولوجيات النسوية المتمركزة في الجنوب، والتي كسرت الحدود المذكورة ووجهت انتقادات خارجية لإبستمولوجيات الشمال. وبذلك، أصبحت مكونًا أساسيًا لنظرية المعرفة في الجنوب، كما هو موضح أسفله.

وقبل تحديد المستويات المختلفة الفاصلة بين الإبستمولوجيات في الجنوب وتلك الخاصة بالشمال، لا بد من الإجابة على الأسئلة التالية: هل هناك من خدع مرآتية وجب علينا تجنبها بين إبستيمولوجيات الجنوب والشمال؟ وهل بإمكاننا خلق مشاعات ممتدة على أساس الغيرية؟

خطورة صور المرآة

بمقابلتنا لإبستمولوجيات الجنوب والشمال، قد نقع بسهولة في فخ الصورة المنعكسة، وهو إغراء يشبه إلى حد كبير البنية الثنائية والمزدوجة للمخيال الغربي. إذ ركزت التيارات السائدة فيما يخص إبستيمولوجيات الشمال على فكرة صلاحية وامتياز العلم الحديث الذي غالبا ما ثم تطويره في الجزء الشمالي من العالم منذ القرن السابع عشر. وترتكز هذه التيارات على تصورين أساسين. الأول هو أن العلم القائم على الملاحظة المنهجية والتجريب المتحكم فيه هو ابتكار محدد للحداثة المتمركزة غربيا، والمتميزة بشكل جذري عن العلوم الأخرى الناشئة في مناطق وثقافات أخرى في العالم. أما التصور الثاني فهو أن المعرفة العلمية، في ظل صرامتها وإمكانياتها الأداتية، تختلف اختلافًا جذريًا عن طرق المعرفة الأخرى، سواء كانت علمانية، أو شعبية، أو عملية، أو منطقية، أو حدسية، أو دينية.

لقد ساهم هذان التصوران معا في تعزيز الاستثناء الغربي تجاه بقية أقطار العالم، وعلى نفس المنوال تم رسم الخط السحيق (abyssal line) الذي كان ولا يزال يفصل المجتمعات المتروبولية عن المجتمعات الاستعمارية. كلا التصورين تم

تناولهما نقديا، نقد سار في واقع الأمر إلى جانب التطور العلمي في الغرب منذ القرن السابع عشر. غير أن هذا النقد كان إلى حد كبير نقدًا داخليًا يمتح من سياقات العالم الثقافي الغربي وافتراضاته. ومن بين الأمثلة المبكرة والرائعة لعملية النقد هاته تلك التي ارتبطت بنظريات جوته (Goethe) عن الطبيعة واللون. فرغم أن جوته كان مهتمًا بالتطور العلمي مثل معاصريه، إلا أنه اعتقد أن التيارات السائدة، المنبثقة عن نظريات نيوتن، كانت مخطئة تمامًا، حيث قام بمقارنة بين التجريبية الاصطناعية (artificial empiricism) المتحكم فيها وما أسماه التجريبية الدقيقة (delicate empiricism)، القائمة على أساس " الجهد المبذول لفهم معنى شيء ما من خلال النظر الممعن والتقمص العاطفي المبنيين على أساس التجربة المباشرة" Seamon and (Zajonc 1998:2).[3]

لقد قمت بتحليل أبعاد مختلفة للنقد الداخلي للعلم الغربي الحديث خلال القرن الماضي من خلال التيارات المختلفة للإبستيمولوجيات النقدية وسوسيولوجية العلم ودراسات العلوم الاجتماعية (Santos 2007c). تتجاوز إبستيمولوجيات الجنوب النقد الداخلي، إذ لا تهتم كثيرًا بصياغة خط نقد إضافي أكثر من اهتمامها بصياغة بدائل إبستيمولوجية يمكن أن تقوي النضالات ضد الرأسمالية والاستعمار والنظام الأبوي. وفي هذا الصدد، فإن فكرة عدم وجود عدالة اجتماعية دون عدالة معرفية، كما ذكرنا سابقًا، تتبعها فكرة أننا لسنا بحاجة إلى بدائل؛ نحن بحاجة بدلاً من ذلك إلى تفكير بديل للبدائل.

وكما هو الحال بالنسبة لإبستيمولوجيات الجنوب، هناك العديد من نظرياتها في الشمال، وتشترك جميعها في بعض من هذه الافتراضات الأساسية: الأولوية المطلقة للعلم كمعرفة دقيقة؛ الدقة باعتبارها إرادة؛ الكونية، التي يُنظر إليها على أنها ميزة الحداثة الغربية، وهي تشير إلى أي كيان أو معطى لا تعتمد صحته على أي سياق اجتماعي أو ثقافي أو سياسي محدد؛ الحقيقة التي يُنظر إليها على أنها تمثيل للواقع؛ التمييز بين الذات العارفة وموضوع المعرفة؛ الطبيعة باعتبارها جوهرا ماديا (res extensa)؛ الزمن الخطي؛ تقدم العلم عبر التخصصات والمجالات؛ والحياد الاجتماعي والسياسي كشرط للموضوعية.[4]

من وجهة نظر إبستيمولوجيات الجنوب، ساهمت الإبستمولوجيات في الشمال بشكل قاطع في تحويل المعرفة العلمية التي تم تطويرها هناك إلى وسيلة للهيمنة تمثل العالم على أنه ملك للفرد له مقدرة على تطويعه وفقًا لاحتياجاته وتطلعاته. وبهذه الطريقة، مكنت المعرفة العلمية في الشمال العالمي، إلى جانب قوته الاقتصادية والعسكرية المتفوقة، من السيطرة الإمبريالية على العالم منذ بداية العصر الحديث إلى يومنا هذا.

تعتبر إبستيمولوجيات الشمال الخط السحيق (abyssal line) الذي يفصل المجتمعات المتروبولية وأشكال التواصل الاجتماعي هناك عن المجتمعات الاستعمارية وأشكال التواصل الاجتماعي عندها مسألة أساسية، بحيث لا ينطبق على الجانب الشمالي من الخط أي شيء له صلاحية أو أي شيء معياري أو أخلاقي على الجانب الاستعماري منه[5]. وبقدر ما أن هذا الخط أساسي وغير مرئي، فإنه يسمح بالكونية الزائفة التي تستند إلى التجربة الاجتماعية لمجتمعات الشمال والتي تهدف إلى إعادة إنتاج وتبرير الثنائية المعيارية المتروبول مقابل المستعمرة.[6] من ناحية أخرى، فإن سيطرة المعرفة على الضفة الأخرى من الخط السحيق من الشمال يمنع المجتمعات الاستعمارية من تمثيل العالم على أنه ملك للفرد وتعبير عن ظروفه. وهنا يكمن الدور الحاسم لإبستمولوجيات الشمال ومساهمتها في إعادة إنتاج الرأسمالية والاستعمار والنظام الأبوي. إنهم يتصورون المركزية الأوروبية للشمال المعرفي هي المصدر الوحيد للمعرفة الصحيحة، بغض النظر عن مكان إنتاجها من الناحية الجغرافية. وعلى

نفس المنوال، فإن الجنوب، أي كل ما يقع على الجانب الآخر من الخط، هو عالم يسوده الجهل.[7] الجنوب هو المشكل والشمال هو الحل. وفقًا لهذه الشروط، فإن الفهم الصحيح والوحيد هو الفهم الغربي للعالم.

إن الاستلاب، والاغتراب الذاتي، وتبعية العقل الذي تؤثر فيه هاتين الحالتين على الإنسان اللاغربي، بما في ذلك علماء الاجتماع اللاغربيين، صاغها ببلاغة جيه أوبيروي (J. Uberoi)، عالم الاجتماع الهندي. كلماته التي كتبها في عام 1978 تستحق اقتباسًا طويلً، رغم أني أتساءل عما إذا كان الوضع قد تغير بشكل كبير اليوم عما وصفه آنذاك:

بالتطبيق نفسه لهذه الوسائل، يبدو أن هناك نوعًا واحدًا فقط من العلم، وهو العلم الغربي الحديث، الذي يسيطر في العالم اليوم. هذه المعرفة العلمية والعقلانية الحديثة هي خزان الحقيقة القائم بذاته، حقيقة فريدة ووحيدة من نوعها. في حين يُطلق على الباقي اسم "العلوم الإثنية" في أحسن الأحوال، والأساطير الكاذبة والجهل المركب في أسوئها. المنطق الذي أدى لهذا الوضع العام من المعاناة الروحية، والذي خيم على العالم اللاغربي بدون هوادة منذ عام 1550 أو 1650 أو تاريخ آخر مشابهً لذلك، أنتج بداخلي حتمًا عقدة نقص مخزية لا يمكنني التغلب عليها أبدًا، سواء بمفردي أو حتى برفقة جيدة. إنه وضع خاطئ مدمر تمامًا لكل الأصالة العلمية. بضربة واحدة يجهز على المتعة الداخلية للفهم الفردي والجماعي، وهذا هو القوت الصادق الوحيد للعمل الفكري المحلي. من المؤكد أنه لا يوجد سبب في طبيعة الأشياء يجعل علاقة التبعية والاستعمارية هاته، والتي تم كسرها بشكل أو بآخر في السياسة بحلول عام 1950 أو قرابة ذلك، لا تزال قائمة في العلم. أؤكد أنه لم يتحسن الوضع على الإطلاق، كما كان من المفترض أن يحدث وأن هناك نوعين مختلفين من النظريات، المستورد والموروث منها، متماسكان بطريقة ما، أحدهما لأغراض علمية والآخر لأغراض غير علمية. يبدو لي أن هذا مجرد استبدال مشكلة الاغتراب الفكري للذات بمشكلة العقل التابع. ولا أدري أيهما أسوأ. في رأيي، هذه هي المشكلة الرئيسية لجميع أشكال الحياة الفكرية في الهند الحديثة وفي العالم اللاغربي (Uberoi 1978: 14–15) .

إلا أن الجنوب المناهض للإمبريالية، جنوب إبستيمولوجيات الجنوب ليس صورة معكوسة لشمال إبستيمولوجيات الشمال، حيث أن الهدف ليس هو استبدال الإبستمولوجيات في الشمال بنظيرتها في الجنوب. بل الهدف هو القضاء على التسلسلات الهرمية بين الشمال والجنوب. فالجنوب المعارض للشمال ليس هو الجنوب الذي شكله الشمال كضحية، بل الجنوب الذي تمرد من أجل تجاوز الثنائية المعيارية القائمة. كما أن المسألة ليست مسألة محو الخلافات بين الشمال والجنوب، بل هي عملية محو للتسلسلات الهرمية للسلطة التي تسكنهما. وهكذا فإن الإبستمولوجيات في الجنوب تؤكد وتثمن الاختلافات المتبقية بعد القضاء على التسلسلات الهرمية. فهي تسعى إلى كونية تابعة من الأسفل إلى الأعلى. فبدلاً من كونية مجردة، تهدف الإبستمولوجيات في الجنوب إلى تعزيز التعددية. نوع من التفكير الذي يشجع على فك الارتباط مع الاستعمار أو التهجين من خلال الترجمة بين ثقافية.

بسبب الفشل في الاعتراف بأنواع المعرفة غير تلك التي ينتجها العلم الحديث، تؤكد إبستيمولوجيات الجنوب على أن المعايير السائدة بخصوص صحة المعرفة المميزة للحداثة الغربية، أدت إلى إبادة معرفية هائلة، حيث تم تدمير أنواع كثيرة وهائلة من أساليب المعرفة التي تسود بشكل أساسي على الجانب الآخر من الخط السحيق - في المجتمعات الاستعمارية. لقد أدى هذا إلى تجريد هذه المجتمعات من قوتها، وجعلها غير قادرة على تمثيل العالم على أنه عالمها الخاص، وبالتالي اعتبار العالم قابل للتغيير بقوتها الخاصة ووفقا لأهدافها الخاصة. هذه المسألة لا تقل أهمية اليوم عما كانت عليه في عهد الاستعمار، حيث

أن نهاية هذا الأخير لا تعني نهايته كشكل من أشكال التواصل الاجتماعي القائم على دونية الآخر العرقية والثقافية وحتى الأنطولوجية، أي ما يصطلح عليه أنيبال كيخانو (Aníbal Quijano 2005) بالكولونيالية. إذ تواصل كولونيالية المعرفة (كما هو الحال بالنسبة لكولونيالية السلطة) لعب دور أساسي في توسيع وتعزيز أساليب الاضطهاد التي تسببت فيها الرأسمالية والاستعمار والسلطة الأبوية.

بفضل المرونة التي يتميز بها الخط السحيق، يتطلب استرجاع المعارف التي تم قمعها واسكاتها وتهميشها الانخراط فيما أسميه بسوسيولوجيا الغياب، وهو إجراء يهدف إلى إظهار أن العديد من الممارسات والمعارف والفاعلين الموجودين على الجانب الآخر من الخط السحيق يتم في واقع الأمر تغييبهم من قبل مناهج المعرفة السائدة على الجانب الشمالي من الخط، وخصوصا عندما ينخرطون في مقاومة أشكال الإقصاء الهائلة التي تسببت فيها الرأسمالية والاستعمار والسلطة الأبوية. يشكل تحديد وجود الخط السحيق الدافع المؤسس والهدف الرئيس لإبستيمولوجيات الجنوب وديكولونيالية المعرفة. إن تحديد الخط يعتبر الخطوة الأولى لتجاوزه، سواء على المستوى المعرفي أو السياسي. إن تحديد ونقد الخط السحيق وإدانته وشجبه سيسمح بفتح آفاق جديدة فيما يتعلق بالتنوع الثقافي والمعرفي للعالم. على المستوى المعرفي، يُترجم هذا التنوع إلى ما أصطلح عليه إيكولوجيا المعرفة، أي الاعتراف بالتواجد المشترك لمناهج المعرفة المختلفة والحاجة إلى دراسة أوجه التشابه والاختلاف والتكامل والتناقض بينها من أجل تعزيز فعالية النضالات المقاومة للظلم.

هل يمكننا بناء مشاعات موسعة على أساس الغيرية؟

ترفض إبستيمولوجيات الجنوب الغيتوهات المعرفية أو السياسية وفكرة عدم إمكانية المقارنة باعتماد نفس المعايير التي تمتح منها. وفي هذا الصدد، أود أن أورد بعض المفاهيم التي تمخضت عن نضالات المقاومة ضد هيمنة المركزية الغربية خلال السبعين سنة الماضية، وخصوصا الأربعين الأخيرة منها. لقد تمت صياغة تلك المفاهيم بلغات غير كولونيالية، وعلى الرغم من ذلك أو بسبب ذلك فقط، فقد اكتسبت وزنًا سياسيًا محددًا. وتشمل هذه المفاهيم مفهوم الإنسانية (ubuntu)، والحياة الجميلة (sumak kawsay)، والبيئة (pachamama)، والزوج والزوجة (chachawarmi)، وسواراج (swaraj)، وأهيمسا (ahimsa).[8]

ولد الدافع الأساسي لإبستيمولوجيات الجنوب في الأربعين سنة الماضية من رحم الشعوب التي عاشت قسوة الإبادة المعرفية (epistemicide) التي تسبب فيها العلم الحديث وكذا الإبادة الناتجة عن الاستعمار الأوروبي، وأقصد هنا الشعوب الأصلية للأمريكيتين وإفريقيا وأوقيانوسيا. كانت هذه هي الشعوب التي حجبها التفكير السياسي للمركزية الأوروبية عن الرؤية وتخلص منها، بما في ذلك النظرية النقدية. وفي مواجهة هذا المحو، شكّلت نضالاتهم مقترحات أسهمت في توسيع الأجندة السياسية لبعض البلدان بشكل كبير، مما ساهم في الكشف عن جوانب جديدة من تنوع الخبرات الاجتماعية والسياسية والثقافية للعالم، فضلاً عن سجلات جديدة من التحرر الاجتماعي. ستضيع هذه التجربة الثرية ما لم يتم استيعابها وتثمينها من خلال منعطف إبستيمولوجي قادر على تأسيس سياسات معرفة ملائمة. فبقدر ما سيكون هذا الهدر خسارة فكرية للعالم بقدر ما سيكون كذلك سياسيا. إذ سيؤدي إلى تتفيه النضالات الاجتماعية غير المرئية والاستخفاف بأهميتها، وبالتالي حجب

إمكانية مساهمة مثل هذه النضالات في توسيع وتعميق الأفق العالمي للتحرر الاجتماعي- الفكرة ذاتها القائلة بأن عالمًا آخر ممكن. إن إبستيمولوجيات الجنوب هي تعبير عن النضال ضد إهدار مزدوج محتمل: إهدار فكري وآخر سياسي.

فيما يلي بعض الأمثلة عن الطرق التي توسعت بها النصوص التحررية في العالم واغتنت من خلالها خارج حدود السياسة والمعرفة المتمركزة في الغرب. ففي بعض الحالات، تتذرع بممارسات وأفكار غريبة عن السياسة والمعرفة التي تتمركز في الغرب ويتم التعبير عنها وفقًا لذلك باللغات التي نشأت بها؛ وفي حالات أخرى، تقوم بعمليات نقل هجينة وغير أوروبية لمفاهيم مرتبطة بالمركزية الأوروبية، مثل القانون أو الدولة أو الديمقراطية، وبالتالي يتم التعبير عنها بلغة استعمارية تأخذ عادةً صفة الديمقراطية المجتمعية، والدولة متعددة القوميات على سبيل المثال.

كان لمفهوم الإنسانية (ubuntu)، وهو مفهوم جنوب إفريقي يدعو إلى أنطولوجية التعايش والوجود المشترك ("أنا أوجد لأنك موجود")، تأثير حاسم على هيئة الحقيقة والمصالحة التي تناولت ملف جرائم الفصل العنصري. كما كان له بعض التأثير على الفقه الدستوري لجنوب إفريقيا بعد عام 1996، إلى جانب بقائه موضوع نقاش رئيسي في مجال الفلسفة الإفريقية.[9] تم تضمين مفهوم الحياة الجميلة (Sumak kawsay) في الكويتشوا (Quechua)، أو ملخص الموقف (suma qamaña) في ايمارا Aymara، في دستوري الإكوادور (2008) وبوليفيا (2009) من أجل رسم أفق تحرري، يقوم على فكرة العيش الكريم الذي يستغني على مفهومي التنمية والاشتراكية. البيئة (pachamama)، المُدرج أيضًا في دستور الإكوادور، ينبي على مفهوم لا ديكارتي ولا بيكوني (non-Baconian) للطبيعة، لا باعتبارها موردا بل كائنا حيا ومصدرا للحياة، لديها حقوق كما هو شأن البشر: حقوق الطبيعة جنبًا إلى جنب حقوق الإنسان، وكلاهما لهما نفس الوضع الدستوري (الفصل 7، المادة 71، من الدستور الإكوادوري). لقد أصبحت فكرة الشاشوارمي (chachawarmi) الكيتشوية مفهوماً أساسياً في نضالات تحرير نساء الشعوب الأصلية في بعض بلدان أمريكا اللاتينية. إنه مفهوم يقوم على أساس المساواة وتكامل العلاقات بين الجنسين والاستغناء عن الأنماط واللغات النسوية المجسدة للمركزية الأوروبية.

قبل فترة طويلة من النضالات التي أدخلت المفاهيم المذكورة أعلاه في جداول الأعمال السياسية، كان غاندي يلجأ إلى اللغة الهندية للتعبير عن المفاهيم الأساسية في نضاله ضد الاستعمار البريطاني. أحد الأمثلة على ذلك هو سواراج (swaraj)، الذي يراد به السعي الحثيث إلى تقرير المصير، والذي تم استرجاعه مؤخرًا في السياسة الحزبية للهند. هناك أيضًا مفهوم ذو أهمية بالغة في النصوص الهندوسية وهو مفهوم أهيمسا (ahimsa)، الذي حوله غاندي إلى مبدأ هام للمقاومة القائمة على سياسة اللاعنف، والتي تبنتها الجماعات الاجتماعية في الهند ومناطق أخرى.

يمكن أيضًا عرض العديد من الأمثلة عن عمليات التهجين المحلية للمفاهيم القائمة على المركزية الأوروبية. إذ تم تضمين الديمقراطية المجتمعية المحلية في المادة 11 من الدستور البوليفي كإحدى أنواع الديمقراطيات الثلاث التي يعترف بها النظام السياسي، والنوعان الآخران هما الديمقراطية التمثيلية والتشاركية. تعتمد الديمقراطية المجتمعية أشكالًا من التداول الديمقراطي تختلف تمامًا عن تلك الخاصة بالديمقراطية التمثيلية أو التشاركية، وهما النوعان اللذان يثاران عادةً في النقاشات الداعمة للمركزية الأوروبية حول الديمقراطية. مثال آخر هو الدولة متعددة القوميات، كما هو منصوص عليه في دستور كل من بوليفيا (المادة 1) والإكوادور (المادة 1)، والتي تجمع بين الدولة الغربية الحديثة والدولة الإثنية الثقافية، والتي تدعو إلى بنية إدارية غير أحادية وغير متماثلة ومتعددة الثقافات[10]. وأخيرًا، يمكن للاقتصاد الاجتماعي والتضامني أن يعبر عن

الأشكال المختلفة للاقتصاد الشعبي الأصلي، والفلاحي، والمجتمعي وأنواع الملكية المرتبطة به، والتي تختلف فيما بينها، ولكن كقاعدة عامة، تعتبر مناهضة للرأسمالية والاستعمار (وغالبًا أيضًا معادية للأبوية)، وتتأسس على مبدئ المعاملة بالمثل والعلائقية كنقيضين للمنطق الرأسمالي والاستعماري.

لا ينبغي أن نبالغ في استغرابنا من المفاهيم الثقافية المشار إليها أعلاه. يجب أن تُفهم على أنها كيانات ثقافية مختلطة، ومزيج ثقافي ومفاهيمي يجمع بين المكونات الغربية واللاغربية. أما من ناحية أخرى، فإن حقيقة أن بعضها حديث للغاية ومدرج في نصوص غربية، مثل الدستور، يغير طبيعتها بشكل عميق، إن لم يكن لسبب آخر سوى أنها تتطلب الانتقال من الثقافة الشفوية إلى الثقافة المكتوبة، مرحلة انتقالية سأتطرق إلى مدى تعقيدها أدناه. إلى جانب ذلك، فإن الصيغ التي تسمح لها بالدخول في أجندات سياسية أوسع هي بالضرورة هجينة. على سبيل المثال، مفهوم حقوق الطبيعة (على النحو المنصوص عليه في دستور الإكوادور) هو مفهوم هجين، يجمع بين العناصر الثقافية الغربية واللاغربية.[11] فالطبيعة هي مصدر كل الحقوق. فهي مثل ديانة توحيدية تعترف بحقوق الله. إن مفهوم حقوق الطبيعة عبارة عن بناء هجين يجمع بين المفهوم الغربي للحقوق والمفهوم الأصلي للطبيعة/ باتشاماما. وقد تمت صياغته بهذه الطريقة ليكون مفهوما فعالا سياسياً في مجتمع مشبع بفكرة حقوق الإنسان.

يجب أيضًا التأكيد على أن المراجعة الدقيقة وغير الأحادية للتقاليد الغربية الحديثة، أي المراجعة التي تتضمن المفاهيم المهيمنة والمهمشة، ستحدث في هذا التقليد تكاملًا أو تطابقًا مع بعض المفاهيم اللاغربية. على سبيل المثال، هناك صلة بين فكرة باتشاماما (pachamama) وناتورا ناتورانس (natura naturans) (على عكس natura naturata) عند سبينوزا، رغم أن مفهوم سبينوزا كان موضوعًا للحظر الاستقصائي (لقوله بوحدة الوجود) وكان تحت وطأة التصور الديكارتي لمفهوم الطبيعة على أنها جوهر ممتد (res extensa)، والتي كانت ستصبح المفهوم الغربي المنطقي للطبيعة. يمكن تتبع نفس التيار الخفي للحداثة الغربية عبر قرون، بدأ بمفهوم غوته (Goethe) للطبيعة مرورا بفلسفة ألدو ليوبولد (Aldo Leopold) والإيكولوجيا العميقة لآرني نيس (Arne Naess).[12]

إن السعي وراء الاعتراف والاحتفاء بالتنوع الذي يطبع إبستيمولوجيات الجنوب يستوجب النظر إلى هذه السجلات الجديدة المرتبطة بالنضالات من أجل الكرامة الإنسانية والتحرر الاجتماعي (وهي غالبًا متوارثة عن الأسلاف أوتم ابتكارها من جديد) على أنها ذات أهمية بدرجة تتجاوز كثيرا الفئات الاجتماعية التي تمخضت عنها النضالات ضد الظلم والاستبداد. بدل ترك هذه الأفكار عالقة في دواليب التفكير الجوهراني للهوية، يجب أن يُنظر إليها على أنها تساهم في تجديد وتنويع السرديات المرتبطة بمثل قائمة في عالم آخر ممكن، عالم أكثر عدلاً (بالمعنى الأوسع للكلمة)، عالم يهتم بالعلاقات ليس فقط بين البشر ولكن بغيره من الكائنات أيضًا. هناك حاجة ماسة لمثل هذا التجديد لأن المفاهيم القائمة على المركزية الأوروبية والتي حددت مثل هذه اليوتوبيا في الحداثة يبدو أنها استنفدت فعاليتها في التعبئة، سواء تعلق الأمر بمفهوم الاشتراكية أو حتى الديمقراطية. ومن ثم، فإن فكرة أوبونتو (ubuntu) الإفريقية أو أفكار باتشاماما (pachamama) وسوماك كاوساي (sumak kawsay) في جبال الأنديز، التي تم إدماجها في العالم من خلال أصوات الفئات الاجتماعية المضطهدة في إفريقيا أو أمريكا اللاتينية، أصبحت ذات صلة محتملة بالنضالات ضد الاضطهاد والهيمنة في العالم بأسره. بعيدًا عن كونها ذات خصوصية أو مثار نوع من الغرابة، تطبع هذه الأصوات سمة التعدد الكوني (pluriversal polyphony) بدل الطابع الإيديوليكتالي

(ideolectal) للخيال الثقافي والسياسي. هذا هو السبب في كون التقلبات التي تعيشها هذه الأفكار في سياقها الأصلي لا تحرمها من شرعيتها المعرفية والسياسية. بل على العكس تمامًا، قد تكون مصدر إلهام لنضالات أخرى في أزمنة مختلفة وسياقات مغايرة.

من الواضح اليوم أن العديد من الابتكارات التي تقوم بها ثقافات وقوميات متعددة ذكرت نماذج منها أعلاه، كتلك التي أدخلت على دستوري الإكوادور وبوليفيا لا يتم أجرأتها عمليًا، بل يتم تقويضها من خلال الممارسات السياسية السائدة هناك. في واقع الأمر، تناقضت السياسات الحكومية والتشريعات الوطنية في السنوات الأخيرة بشكل واضح مع ما تضمنه دستور البلدين، وهي عملية تم توصيفها من قبل المحامين الدستوريين وعلماء الاجتماع السياسي على أنها ضرب للهوية الدستورية والمؤسساتية للبلدين. مهما كانت حدة هذه المسألة، فإنها لن تنجح في محو أثر السرديات الجديدة للكرامة والعدالة التي أدخلتها هذه الأفكار في النضالات العالمية. على سبيل المثال، قام علماء البيئة الشباب في جميع أنحاء العالم بتضمين نضالاتهم أفكار الأنديز عن باتشاماما وسوماك كاوساي. لا يتعين عليهم طلب الإذن من شعوب الأنديز الأصلية، ولا يحتاجون إلى أن يكونوا خبراء في ثقافات الأنديز.

مستويات الانفصال: نحو بناء بيوت جديدة للتفكير والعمل

تثير إبستيمولوجيات الجنوب إشكالات وقضايا وتحديات معرفية ومفاهيمية وتحليلية. إنها في واقع الأمر، تطرح أسئلة جديدة وتبحث عن أجوبة جديدة وإشكالات جديدة لحلول جديدة. كما تحث على كثرة النقد المنهجي والابتكار، رغم أن بعض الإشكالات لا بد أن تصاغ بمفاهيم توفرها إلى حد كبير الإبستيمولوجيات السائدة في الشمال. ومن هنا، يمكن التنبؤ ببعض الإشكالات أكثر من غيرها. سأحدد مستويات هذه الإشكالات، بالتدرج بدءا بالأكثر إلى الأقل قابلية للتنبؤ، مبرزا بذلك مستويات الفصل المتعاقبة بين إبستيمولوجيات الجنوب والشمال. يتعلق المستوى الأول بالإشكالات التي تواجه بشكل مباشر إبستيمولوجيات الجنوب مقابل نظريتها في الشمال. إنها المبدأ الذي يجب على أساسه افتحاص القضايا النظرية والمنهجية التي تثيرها إبستيمولوجيات الجنوب. ومن بينها ما يلي:

1- **إشكالية النسبية**. بما أن إيكولوجيات المعارف تتكون من التواجد المشترك لأنواع مختلفة من المعارف، فكيف لنا أن نثبت صحتها النسبية؟

2- **إشكالية الموضوعية**. كيف يمكن التمييز بين الموضوعية والحياد، وهو تمييز في صميم إبستيمولوجيات الجنوب؟

3- **إشكالية دور العلم في إيكولوجيا المعارف**. حتى لو لم يكن العلم الحديث هو النوع الوحيد الصالح من المعرفة، فمن المؤكد أنه معترف به كواحد من أهم المعارف. كيف يتم التعبير عن المعرفة العلمية والمعرفة اللاعلمية في إيكولوجيات المعارف؟

4- **إشكالية التأليف**. معظم المعارف التي تتمخض عن النضالات الاجتماعية هي نضالات جماعية أو تعمل على ذلك النحو. بدل أن يكون لها مؤلفين، فهي من يقوم بدور التأليف رغم أنه كثيرًا ما يظهر مؤلفون متفوقون في تلك النضالات. كيف يفهم المرء هذا؟

5- **إشكالية الشفهية والكتابة**. نظرًا لأن معظم المعارف الموجودة في إيكولوجيا المعارف يتم تداولها شفهيًا وبعضها ليس لديه نسخة مكتوبة، فكيف يمكن التحقق من صحة المعارف في مثل هذا التدفق الزائل وغير المحسوس حتى؟

6- **إشكالية النضال**. بما أن المعرفة التي تتمتع بها إبستيمولوجيات الجنوب ولدت من رحم النضال، فما هو النضال إذا وما هي إمكاناته المعرفية الخاصة أو ما هو مضمونه الخاص؟

7- إشكالية التجربة. على أية أرضية يتم التخطيط عمليا لعلاقات النضال، وتحين الفرص، واستشعار المخاطر، وتقييم الإيجابيات والسلبيات؟

8- **إشكالية مادية المعرفة**. تدور إبستيمولوجيات الجنوب حول المعارف التي تتمثل في أجساد ملموسة، سواء كانت جماعية أو فردية. الجسد، ككيان حي، هو الجسد الذي يعاني الظلم ويقاومه، ويحزن على الهزيمة والموت ويفرح بالنصر والحياة. هل بإمكان الإبستيمولوجيا أن تفسر هذا الحضور القوي للأجساد الفردية والجماعية؟

9- **إشكالية المعاناة الجائرة**. نحن نعيش في زمن الحرب، زمن الحروب المعلنة وغير المعلنة، النظامية وغير النظامية، حروب داخلية وإمبريالية. معظم ضحايا العنف لا يشاركون بنشاط في النزاعات وبالتالي فهم أبرياء. تتعدد مستويات هذه العوامل التي تسبب مثل هذه المعاناة المنتشرة، وبالتالي تحجب الخطوط الفاصلة بين الظالمين والمضطهدين والأحكام الأخلاقية والسياسية حول المعاناة. إن البدء النتائج بدل الأسباب تعتبر إحدى الطرق الممكنة لمعالجة المعاناة.

10- **إشكالية تحفيز العقل أو كورازونار (corazonar)**. بإلهام من إرنست بلوخ (Ernst Bloch)، ميزت في عملي السابق بين العقل النشط والعقل البارد. العقل النشط هو العقل الذي يعيش في راحة مع العواطف والمشاعر دون التخلي عن معقوليته. في سياق النضال، لا سيما النضالات التي تتضمن مخاطر شخصية، يجب تحفيز العقل بطريقة محددة للغاية. كيف يمكننا أن نفعل ذلك؟

11- **إشكالية كيفية ربط المعنى بالوجود المشترك**. تستوجب مركزية النضالات ضد الظلم والاضطهاد في إبستيمولوجيات الجنوب الانخراط في مسألة الإمكانية الفورية للوجود المشترك قبل المعنى. في النضالات، سيما تلك التي تتضمن مخاطر أكبر، غالبًا ما يصبح التواجد المشترك شيئا يسبق المعنى. هل يمكن أن يسبق الاعتراف الإدراك؟ وهل يمكننا تفسير أشكال الوجود المشترك دون وساطة كتلك التي تحدث في النضال؟

تتعلق الطبقة الثانية من المشاكل بإعادة البناء النظرية والمنهجية والمفاهيمية التي دعت إليها إبستيمولوجيات الجنوب:

12- **كيف يمكن وضع حد لكولونيالية المعرفة والمنهجيات التي تنتج من خلالها؟** بما أن الاستعمار تجربة مشتركة، فإن إنهاء كولونيالية المعرفة يستلزم فعل ذلك من جانب المستعمِر والمستعمر على حد سواء. هل يستلزم ذلك تطوير مفاهيم أو نظريات هجينة، على غرار ديكولونيالية التمازج العرقي (mestizaje)، حيث قام تمازج المعارف والثقافات والذوات والممارسات بتجاوز الخط السحيق الذي يؤسس لإبستيمولوجيات الشمال؟

13- **كيف نطور منهجيات منسجمة مع إبستيمولوجيات الجنوب، أي المنهجيات غير الاستخراجية؟** تعتمد العلوم الاجتماعية الحديثة (abyssal modern social sciences) المؤيدة للتقسيم الاستعماري السحيق على منهجيات تستخرج المعلومات من موضوعات البحث بنفس الطريقة التي تستخرج بها صناعات التعدين النفط والمعادن من الطبيعة. على العكس من ذلك، يجب أن تقدم إبستيمولوجيات الجنوب، من خلال الاعتماد على المعرفة رفقة بدلاً من

المعرفة حول، أي من خلال الاعتماد على الإنتاج المشترك للمعرفة بين الذوات المعرفية، بعض الإرشادات المتعلقة بالمنهجيات التي يمكن أن تقوم بمثل هذه المهام بنجاح.

14- **ما هي سياقات تمازج المعارف العلمية والحرفية في إيكولوجيات المعارف؟** ترتبط المعارف المختلفة بشكل مختلف بالنضالات ضد الرأسمالية والاستعمار والسلطة الأبوية. يثير اندماجهم في إيكولوجيا المعارف قضايا مختلفة.

15- **ماذا يعني أن تكون باحثًا في المرحلة ما بعد التقسيم الاستعماري السحيق (postabyssal researcher)؟** إن تموقع الذوات العارفة المختلفة (داخليا أو خارجيا) أمر بالغ الأهمية لاستيعاب حجم عمليات اللاتعلم واللاتفكير في بناء المشترك المعرفي (epistemic mingas). نظرًا لأن العمليات المعرفية تندمج في سياقات النضال والمقاومة، يجب أيضًا الأخذ بعين الاعتبار المخاطر التي تنطوي عليها، وكذا الجروح التي تتخللها وعمليات العلاج الممكنة منها.

16- **ما هي تجربة الحواس العميقة؟** إن التسليم بفكرة أن المعرفة لها بعد مادي يستوجب الاعتراف بها كنشاط فزيائي بإمكانه أن يحرك الحواس الخمس. بالنسبة لإبستيمولوجيات الشمال، إن التسليم بالحواس كمصدر للمعرفة أمر غير وارد. فالعقل هو المكون الوحيد القادر على المعرفة والشفافية فيما يتعلق بموضوعات المعرفة؛ ومن ثم، فهو الوحيد الجدير بالثقة. تشكل إبستيمولوجيات الجنوب نقيض هذا الموقف، الشيء الذي يثير قضايا بالكاد يتم استشعارها والتنبؤ بها.

17- **كيف يمكن تقويض الطابع المَعْلَمي المخلد للمعرفة المكتوبة وتعزيز فعل التأليف؟** المعرفة المكتوبة، بشكل عام، والمعرفة العلمية على وجه الخصوص، هي معرفة نُصْبِيّة (Monumental knowledge)، تشبه نصبا تذكاريا خالدا. ولكونها معرفة نُصْبِيّة أو مَعْلَمية، فمن غير اللائق دخولها في حوارات أو سجالات مع المعارف الأخرى، ومن هنا السعي المنهجي وراء فكرة إبستيمولوجيات الجنوب لتقويض مكانة المعرفة المَعْلَمية .

18- **إشكالية الأرشيف.** كيف يمكن استرجاع التجارب السالفة والذكريات والوقائع والذوات الفاعلة التي تعرضت للإقصاء بفعل التفكير الغربي السحيق (abyssal thinking)؟ من خلال سوسيولوجيا الغياب والظهور، تفتح إبستيمولوجيات الجنوب أرشيف الحاضر. ولكن ماذا عن أرشيف الماضي، الذي لا يمكن بدونه لأرشيف المستقبل أن يكون؟

يتعلق المستوى الثالث من الاشكالات ببيداغوجيات ما بعد السقوط التي دعت إليها إبستيمولوجيات الجنوب، والسبل التي يتم من خلالها تحويل هذه الأخيرة في الجنوب إلى نوع من الحس المشترك للجمهور الأوسع من الشعوب التابعة والمناهضة للهيمنة والمنخرطة في ممارسات وعمليات تغيير تقدمية:

إشكالية الترجمة بين الثقافات. كيف يتم التعبير عن والاستمتاع بالحوار بين مختلف المعارف، وإن كانت في بعض الحالات متجذرة في ثقافات مختلفة؟

19- **إشكالية التعليم العمومي.** كيف يمكن تطوير وتوليد واستدامة سياقات التعلم الذاتي التعاوني الذي يتم من خلاله ممارسة إيكولوجيات المعارف في ضوء الممارسات التحويلية المتفق عليها بشكل عام؟

20- **إشكالية الديكولونيالية في الجامعة.** كيف نعيد تأسيس الجامعة على مبدأ أولوية العدالة المعرفية؟

21- **كيف يمكن ربط التعليم العمومي والجامعة من خلال إيكولوجيات المعارف وبراعة الممارسات؟** وكيف يمكن التعرف على المعارف التي ولدت من رحم الصراعات الاجتماعية حيث يتم محاربتها بمجرد انتهاء تلك الصراعات، بغض النظر عن نتائجها؟

هوامش (إضاءات):

[1] وجب تمييزها عن الإبستيمولوجيات التجريبية التي أدخلتها علوم الأعصاب وعلم التحكم الآلي.

[2] إن التمييز بين المعرفة وطرق المعرفة (بالبرتغالية، conhecimento وsaber، بالفرنسية connaissance and savoir) هو، في حد ذاته، شاهد على التحديات التي تواجه الترجمة بين الثقافات، التي نناقشها. تكمن الصعوبة في أن هذا التمييز غير موجود في اللغة الإنجليزية ولا ربما في بعض اللغات الأخرى أيضًا.

[3] عن جوته (Goethe) والعلوم الحديثة، انظر أوبيروي (Uberoi 1984).

[4] ترتكز هذه الافتراضات على مجموعة من المعتقدات والقيم التي تحدد ما يمكن تسميته بشريعة الفلسفة الغربية. وفقًا لوارن (2015)، يشمل هذا القانون ما يلي: (أ) الالتزام بالعقلانية، وجهة النظر القائلة بأن العقل (أو العقلانية) ليس فقط السمة المميزة للإنسان- بل هو ما يجعل الإنسان متفوقا على الحيوانات والطبيعة؛ (ب) تصور الإنسان ككائن عاقل قادر على التفكير المجرد، ويتمتع بالمبادئ الموضوعية، والقدرة على فهم أو تقدير نتائج الأفعال؛ (ت) تصورات كل من الفاعل الأخلاقي المثالي والذات العارفة على أنهما غير متحيزين ومنفصلين وغير مهتمين؛ (ث) الإيمان بهذه الثنائيات الأساسية، مثل العقل مقابل العاطفة، والعقل مقابل الجسد، والثقافة مقابل الطبيعة، والإطلاقية مقابل النسبية، والموضوعية مقابل الذاتية؛ (ج) افتراض وجود فجوة وجودية بين الكائنات البشرية والحيوانات والطبيعة؛ و (ح) القابلية للتعميم كمعيار لتقييم حقيقة المبادئ الأخلاقية والمعرفية (انظر أيضًا Warren 2009).

[5] للمزيد عن هذا، انظر سانتوس (Santos 2014: 118–35).

[6] انظر أسفل(ه) (الكتاب) الفرق بين اقصاءات الخط الاستعماري السحيق وغير السحيق.

[7] يجب الاعتراف بالمعرفة الاستعمارية اللاغربية واسترجاعها بالقدر الذي تكون فيه مفيدة للهيمنة المتمحورة حول الغرب، كما كان الحال على وجه الخصوص في الحكم غير المباشر، الذي لجأت الدولة الاستعمارية من خلاله إلى القانون التقليدي أو الأصلي والحكومة لضمان إعادة إنتاج الحكم الاستعماري على المستوى المحلي.

[8] تحليل هذه المفاهيم بتفصيل كبير في الفصل 10 من كتاب نهاية الإمبراطورية المعرفية: مجيء عصر إبستيمولوجيات الجنوب).

[9] على حد تعبير Ramose: عبارة أوبونتو (*ubuntu*) تشكل كلمة واحدة في كلمتين. يتكون من أوبو (*ubu*) وجذع نتو (*ntu*). تستحضر (*ubu*) أوبو فكرة الوجود بشكل عام. إنه الكينونة قبل أن تتجلى في الشكل أو نمط الوجود الملموس لكيان معين. بهذا المعنى، فإن *ubu* موجه دائمًا نحو (*ntu*) نتو. على المستوى الوجودي لا يوجد فصل تام بين *ubu* و*ntu*. إن *ubu* و*ntu* مؤسسان بشكل متبادل بمعنى أنهما جانبان من الوجود كوحدة متكاملة غير قابلة للتجزيء. يمكن القول إن ubu باعتبارها الفهم المعمم للوجود تمثل بشكل واضح البعد الأنطولوجي؛ *ntu* باعتبارها النقطة العقدية التي يفترض عندها الكائن شكلًا

ملموسًا أو نمطًا من الوجود في عملية الانكشاف المستمر، تمثل الجانب الإبستيمولوجي. وبناءً على ذلك، فإن ubuntu هي المكون الأنطولوجي والإبستيمولوجي الأساسي في الفكر الإفريقي للشعوب الناطقة بالبانتو (*Bantu*). تشترك كلمة *umu* في نفس الميزة الوجودية مع كلمة *ubu*. عندما نضمها إلى *ntu* تصبح *umuntu*. وتعني ظهور الإنسان المكوّن الذي هو في نفس الوقت الإنسان العاقل. *umuntu* هو منتج المعرفة والحقيقة في المجالات الملموسة، على سبيل المثال، السياسة والدين والقانون. (2 :2001).

وفقًا لبريج (Praeg)، أوبونتو (ubuntu) هو تمرين في السلطة، ومحاولة أساسية لاستيعاب حقيقة ومعنى أن تكون أسودا (blackness)، والقيم والتقاليد والمفاهيم المرتبطة بالشعوب السوداء والمعترف بها على أنها ذات قيمة متساوية للأشخاص الذين تهمهم" (2014: 14).

[10] أنظر النصوص الكاملة لدستور بوليفيا (دولة متعددة القوميات) لعام 2009.

[11] تمت مناقشة هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل 9 (كتاب نهاية الإمبراطورية المعرفية: مجيء عصر إبستيمولوجيات الجنوب) .

[12] كان ألدو ليوبولد (Aldo Leopold) ناشطًا في مجال الحفاظ على البيئة، وفيلسوفًا، ومعلمًا، وكاتبًا، ذو ولع كبير بالعالم الخارجي. تدعونا مقالته "أخلاق الأرض" إلى المسؤولية الأخلاقية تجاه العالم الطبيعي. "عندما نرى الأرض كمجتمع ننتمي إليه، قد نبدأ في استعمالها بمحبة واحترام" (1949: 8–9؛ انظر أيضًا 1986 [1933] Leopold). إن مفهوم الإيكولوجيا العميقة، الذي يدعو إلى الحد من عدد السكان، والتكنولوجيا الناعمة وعدم التدخل في العالم الطبيعي، قد تبناه دعاة حماية البيئة بفارغ الصبر في سياق بيئة ضحلة لم تواجه التكنولوجيا والنمو الاقتصادي. لقد شكلت جزءًا من فلسفة شخصية أوسع أطلق عليها نيس (1973: 99) علم البيئة T (ecosophy T)، "فلسفة التناغم أو التوازن الإيكولوجيين" التي يمكن للبشر فهمها من خلال توسيع مفهومه الضيق للذات، باحتضانه النظام البيئي الكوكبي بأكمله. فيما يخص مصطلح الإيكولوجيا والفلسفة المدمجان (انظر أيضًا نيس1989، 2002).

قائمة البيبليوغرافيا

- Foucault, M. (1969). *L'archéologie du savoir*. Paris: Gallimard.
- Quijano, A. (2005). *Colonialidade do poder, eurocentrismo e América Latina*. Buenos Aires: CLACSO, Consejo Latinoamericano de Ciencias Sociales.
- Praeg, L. (2014). *A report on Ubuntu*. Pietermaritzburg: University of KwaZulu-Natal Press.
- Santos, B. de S. (2014). *Epistemologies of the South: Justice against epistemicide*. Boulder, CO: Paradigm.

- Santos, B. de S., Meneses, M. P., & Nunes, J. A. (2007). Opening up the canon of knowledge and recognition of difference. In B. de S. Santos (Ed.), *Another knowledge is possible: Beyond Northern epistemologies* (pp. xix–lxii). London: Verso.
- Seamon, D., & Zajonc, A. (Eds.). (1998). *Goethe's way of science: A phenomenology of nature*. Albany: State University of New York Press.
- Uberoi, J. (1978). *Science and culture*. Delhi: Oxford University Press.